

لسانيات الأزمة:

الحظر اللغوي وجدواه في فترة كورونا كوفيد 19

سعيد عامر*

جامعة مولود معمري- تيزي وزو ، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

said.ameur@ummto.dz

الإرسال: 2023/05/30 القبول: 2026/05/30 النشر: 2026/06/01

الملخص:

ينطلق هذا المقال من اعتبار مؤداه: أن اللغة المستخدمة والمتداولة في فترة وباء كورونا كوفيد 19 هي لغة محظورة غير موائمة ، عملت بقوة على استئراء وتفشي الفيروس بين الناس ، وينتهي (أي المقال) إلى ضرورة توظيف إمكانيات ظاهرة الحظر اللغوي مستقبلا في مواجهة الأزمات المماثلة لوباء كورونا ؛ لما لها من اقتدرات على تقليل تفشي الأزمات وكذا أثارها الوخيمة.

الكلمات المفتاحية: الحظر اللغوي ، خرق الحظر اللغوي ، وباء كورونا كوفيد 19.

The linguistics of crisis :**language ban and it's feasibility during Corona
Covid 19****Summary:**

This article is based on its goal: that the language used and circulated during the period of the corona covid 19 epidemic has strongly contributed to the spread and outbreak of the virus among people, and this article concludes with necessity of employing the capabilities of the

*المؤلف المرسل.

phenomenon of linguistics ban in the future to facing similar to the corona because it's abilities to reduce the spread of crises as well their consequences.

Keywords: language ban; breach of linguistic prohibition; corona covid 19 epidemic.

مقدّمة:

يتوجّب في مستهلّ هاته المقالة تنبيئ القارئ أنّ عبارة (لسانيات الأزمة) أي كيفية إدارة الأزمات لسانيا ؛ ليست مصطلحا ، بل مجرد إطلاقا ، يُؤمل أن تصير كذلك ؛ علّها إذّاك تُؤسّس لفرع لساني ، ستُستشعر أهميته الوجوديّة عقب إنهاء قراءة هذا المقال ، الذي استورد لمقدّمته عبارة مُحوّرة ؛ تختصر مفهوم نظرية الفوضى لإدوارد لورنز (Edward Lorenz) نصّها: "إنّ رقة جناح فراشة في الهند، قد تُحدث فيضانا في نهر الأمازون"¹، عبارة أكّد صدقها فيروس كورونا كوفيد 19 حين تجاوز في اشتغاله مجاله الحيوي إلى مجالات مغايرة ليست من نفس طينته بناتا، ليُلحق بها أضرارا وخيمة ، كالاقتصاد ، والسياسة ، والتكتّلات الجغرافية ، وكذا اللغة التي هي مدار الحديث هنا.

في البداية ، قد تكون بسمّة السخرية قد اكتمل تشكّلها في محيّا القارئ وهو يقرأ: أنّ فيروس كورونا قد ألحق أضرارا كبيرة باللغة ، بالمقابل لن تُستغرب ردّة فعله التي ستغيّر كلّية ؛ حين سيعلم مع التبسيط القادم أنّ آلاف ممّن قضوا نحبهم بسبب هذا الفيروس ، إنّما في الأصل ماتوا بسبب اللغة ، التي سأقول عنها مجازا: تفشّى فيها هذا الوباء أكثر من تفشّيه في أجسام المُعتلّين به ، وإليكم بيان تلك الأضرار التي أحدثها فيها ، متبوعة بالوخيم المُنجّر عن ذلك كلّها:

1- على المستوى الصّوتي: باستفحال كوفيد 19 ، استفحلت الاضطرابات النطقية في كل من شرع يتحدّث عنه مُعرّفاً به أو مُحدّرا منه ، ليس لي أن أسوق أمثلة لتلاحظ طرائق التصويت السيئة لحروف الكلمات ؛ أو لتلك الإبدالات النطقية المموجة ؛ إذ يكفي الإنصات لأحاديث الأطباء عنه في الفيديوهات التي سجّلوها ليُدرك ذلك ، ومثيل هذا ، ذاك الاضطراب الأدائي للأذان في البيئات الإسلامية التي غُلقت فيها صلوات

الجماعة ، تحت الطائلة الوقائية من الوباء. لقد تعالق هذا المذكور هنا بالفيروس ؛ حين نظر الناس إليه بقراءة ما ورائية ، أفلحوا كلهم في بلوغها ؛ حيث مرّت لهم تلك الاضطرابات التصويتية التي أنصتوا لها رسالة مؤدّاها: إنّ الفيروس أخطر مما وضعتموه في تصوّركم ؛ فالطبيب لا يضطرب نُطقيًا وهو يتحدث عن زكام عادي ، لكنه إن اضطرب أدائيًا وهو يتحدّث عن هذا المستجد ، فلأنّ الذي يتكلم عنه شيء خطير! ولّد في لحظة استيعاب الناس لخطورته بهاته الطريقة أشياء أخطر منه ؛ كالإقبال على احتكار السلع الغذائية والطبية ، وانتهاز الفرصة لرفع أسعارها ، والتزاحم على اقتنائها ، بل حدوث اقتتالات على ذلك ؛ انتهت أحيانًا كما في بعض الأماكن بوفيات وإصابات ، لم يُسببها كورونا نفسه فيها.

2- على المستوى النحوي: ذات القيل الوارد حين الحديث عن المستوى الصوتي سيتردّد هنا ، فقد هلهل الفيروس بالهلع المرافق له أنظمة نحوية للغات عديدة ؛ حيث لوحظت ركاقات تعبيرية غير مستقيمة نحويًا أثناء الحديث عن تعداد المُصابين به في فرنسا ، وكذا في الجزائر وغيرها ، مع العلم أنّ الذين صدّروا مجالس الإعلان عن ذلك تحدثوا جميعًا بلغة اختصاصهم ، ولكن المخفي المهيل المنحس بدواخلهم ، سرعان ما طفا على صفحات لسانهم ، ليضيف إلى الهلع الجمعي جرعة زائدة ، تسببت في حصول ما سبق ذكره ، وكذا الآتي خبره.

3- على المستوى المعجمي الدلالي: ويعتبر هذا المستوى اللغوي أكثر المستويات تضرًا ثم إضرارًا ، فقد عاث فيه الفيروس فسادًا ، ثم سيعيث هو بالأرواح فتكًا ، وقصد الوصول إلى الفكرة المراد تمريرها هنا ، نُذكر بالوضع المعجمي الذي ساد قبل استفحال الوباء ؛ حيث ذاعت كل المعاجم اللغوية ، ونالت نصيبها الاستعمالي ؛ فالرياضيون كانوا منشغلين بعباراتهم ومصطلحاتهم ، والسياسيون كذلك ، وهكذا الحال مع المنضوين في المجالات الأخرى ، لكن باستفحال الوباء خارج الصين ، انحسرت المعاجم الأخرى ، للذي نال مجالاتها من تذبذب أو تعطيل أو توقيف ، لينوب في الوجود عنها:

أ/المعجم السّفاح ؛ معجم الأنا: هو معجم لم يُنعت بالسّفاح اعتبارًا ؛ وإنما وُصف بذلك ؛ لِمَا سبّبه من إزهاق للأرواح في إيطاليا ؛ فكثير من الإيطاليين الآن ،

يُقرّون بأنهم في لحظة استهتارهم من فيروس كورونا كوفيد 19 كانوا يستخدمون عبارة: "أنا" لا أزال شابا وفي صحة جيّدة ، لن يفعل "بي" شيئا. لقد تسبّب تفكيرهم الأناني هذا ، في تقتيل آبائهم ، وأجدادهم وإخوانهم من ضعفاء المناعة والأمراض المزمنة ، حين نقلوا إليهم هذا الفيروس السفاح.

نفس المعجم ، تشكّل عندنا في الرقعة الجنوبية من الكوكب ؛ فجّل الناس هنا ردّوا: أنا ادّخرت... ، نحن في البيت اقتنينا... أنا لست من البليدة ، أنا... وأنا... ليبقى الشيء الوحيد الذي جمعنا ؛ هو ما حصلناه من التّبعات الكارثية ، المنجرة عن توظيفنا لهذا المعجم المقيت.

ب/معجم التّهلويل: لم تتردّد الوزارات المختلفة في شتى أقطار العالم في التحذير من الفيروس ، وهذا شيء جيّد بلا مرية ، ولكن الذي حدث في بعض الأقطار أنّ لغة التحذير تلك ، أصبحت تحتاج بحدّ ذاتها إلى تحذيرٍ من استخدامها ، فهي لغة تهويلية ، تقتيليةٌ —هي- في عائداتها وفي الذي سينجرّ عنها أثناء تلقي الرسائل التي تبثّها ، ولا مدعاة للإكثار من التمثيل ، فالنتائج قد عاينها سكان المعمورة قاطبة... مثلاً: ماذا يُتوقّع كردّة فعل حين الاستماع لوزير التعليم العالي الفرنسي وهو يقول: 70% من الفرنسيين سيصيبهم الوباء؟! ماذا ستوقع كردّة فعل وأنت تسمع لبوريس جونسون (Boris Johnson) وهو يقول: كثير من البريطانيين سيفقدون أحباءهم؟! ماذا ستكون ردّة فعلك وأنت تُنصت لمسؤول أمريكي يقول: عدد قتلى كورونا سيوازي أو سيفوق قتلى الحرب العالمية الثانية؟! إنّ هاته العبارات التي تُسجّت بكلمات فظيعة ، حتى وإن كانت حقّاً تقصّ فظاعة ما يفعله الفيروس ، إلا أنّها لن تُساعد بتاتا في الحد من انتشاره ، بقدر ما تُساعد على استشرائه ؛ فالناس —على إثر هذا التهلويل- سيخرجون وسيتراحمون على شراء ما يُقيهم أحياء ، والفيروس ظالّته —كما هو معلوم- الاحتشادات والتجمعات! هذا من جهة ، أمّا من جهة أخرى ؛ فقد سبّب هذا المعجم التهويلي خصوصا في دول العالم الثالث وجودَ استعدادات وقائية وعلاجية للوباء ، لكن! بطريقة جعلتهم يُهمّشون أمراضا قاتلة أخرى في نفس الوقت ؛ ما جعل عدد الموتى الذي تفادوا حصوله بسبب الكورونا ، يبقى نفسه نفسه ؛ حيث سبّبت أمراض أخرى كضغط الدم والسكري وغيرها ؛ على اعتبار أنّ عيادات معالجتها الخاصة منها والعامّة مُغلقة آنذاك ، أو لأنّها أولت الأهمية للحالات

الكورونية ، لذا حدثت مضاعفات قاتلة في صفوف تلك الفئات ، بفعل هذا الإهمال والإدراج الثانوي ، ما عادل في قدرتها التقتيلية تعداداً ما تُخَوِّف حصوله بسبب الكورونا!

ج/معجم طبيّ توعويّ غير مفهوم ومضطرب: أعجب المقامات هاته ، ففي خضم جائحة مُعدية ، تجد الأطباء يتحدثون بلغة اختصاصهم ، مستخدمين مصطلحات طبيّة ، يَغْزُّ ربما على الطالب المبتدئ في كليّة الطّب استيعابها ، فكيف الحال مع العوام من الناس؟! إنّ تأمل الملتصقات التوعويّة آنذاك سيجعلك تخلص إلى هذا ؛ ثم إنّ مساءلة العوام مثلاً عن معنى كلمة احتقان في جملة "احتقان الأنف" سيوضّح لك المقصود هنا أكثر ، مثل ذلك عبارة "التكوي الجسدي"! إنّها لغة صحيحة ولكنها غير مناسبة ، يُمكن إبدالها بما يجعل الجميع يفهم أعراض المرض وطرق الوقاية منه بكل يُسر وسهولة ، لكنهم الأطباء! علّموا مخاطبة الأجساد مخاطبةً ماديّةً بمشارط الجراحة وسماعاتهم ، ولم يُلقّنوا شيئاً يصحّ في ذلك الظرف تسميته بـ: "اللسانيّات الطّبيّة". واستئنفاً لبيان اضطراب معجمهم ، نستحضر كلمة "الساخن" التي وظّفوها ؛ حين حثّهم المُصاب على غرغرة فمه بالماء الساخن للقضاء على الفيروس فُيبل انتقاله إلى الرئة ، لنجد أنّها (أي ذات الكلمة) لا تنفع بداللتها مع الفيروس ، حين يسخن الجو ؛ بمعنى ، الماء الساخن يقتل الفيروس ، ولكن حين تسألهم عن الجو الحار وعن الصيف ، هل يفعلان ذلك ؟ ستجد جواباً متناقضاً... لا ، إنه فيروس يصمد في الحر ؛ بدليل أن بلدان خليجية ساخنة تشهد ، كما أنّ حرارة المُصاب به في حدود 40 درجة ، ورغم ذلك لا تقتل الفيروس!

د/المعجم السّاخر: لا يُعترض بتاتا على أهمية السخرية ، وعلى قدرتها التوصيلية للأفكار في قالبها الفريد ، ولكن يُعترض على توظيفها في مناسبات ولحظات لا تليق بها ، لحظات كلحظات انتشار هاته الجائحة مثلاً ، حيث كُرس توظيف المعجم السّاخر فيها اللامبالاة بخطورة الفيروس من قِبَل الناس ، ما يعني بصياغة مغايرة: كُرس تمكياً لتفشيّه. لقد اكتنّظت الفضاءات الافتراضية بنكت منسوجة كلّها بكلمات ساخرة منه ، بل حتى الواقع شهد استخفافات مُماثلة ؛ كشعار بعض الحراكيين في الجزائر والعراق: الشعب والكورونا خاوة خاوة!

هـ/المعجم الأجوف ؛ معجم نظريّة المؤامرة: والذي سيظلّ مع هاته الذهنيّات السائدة مُعجماً تستعين به كل الأزمات التي سنمرّ بها ؛ الصحيّة منها والاقتصادية

والسياسية. تضمّن هاته المرة عبارات من قبيل: "فيروس أمريكي"، "يُريدون تكرير سيناريو الإنفلونزا الإسبانية 1918"، "ليس فيروسا طبيعيا، بل غاز السارين Sarin" "سينتهي في أفريل؛ لأن ترامب قال ذلك"... وكلّها عبارات تجعل كثيرا من الأمم التي تتخاطب مستخدمة هذا المعجم بغلو مفراط بيئات خصبة للأزمات، وزوائد وجودية تنتظر دوّما من غيرها إيجاد اللقاحات والعلاجات، لا تُنتج أثناء تفشّي المُدْهَمَّات سوى الطلّابز (الطلّابز كلمة في الدارجة الجزائرية مُفرغة من الدلالة، تدلّ على كل ما لا دلالة له).

و/ معيارية لغوية أخطأت توقيتها: إذا كانت الوقفات السالفة استعرضت أوضاعا لغوية غير متحكّم فيها، فإنّ هذه الوقفة هنا تستعرض ذاك الغلو الذي واكب عملية التحكم في بعض الأوضاع، ومن دونما أيّ تردد هو غلوّ قبيح جدا، لعدم أنسبته للحظة الحرج (لحظة انتشار الجائحة)؛ تخيّلوا أنه داخل صيدلية، وهي إحدى بوّرات انتشار الأمراض؛ بحكم أن المرضى كما السليمين يرتادونها، وفي قمة اكتظاظها كان الصيدلاني يلقّن زبونا درسا لغويا؛ فبعد أن قال له الزبون: عندكم des masques؟ يقصد طبعا كمامة طبية. أخذ الصيدلاني يقول له: قل des bavettes، وليس des masques. ونظير هذه المعيارية التي لم تجد محلاّ مكانيا وزمانيا مناسبا، تجد ذلك الجدل الذي لا يخدم مقتضيات لحظة الطوارئ هاته أيضا، والذي مثله فريقان، اختلفا في الترجمة الأمازيغية المناسبة لكلمة وباء، بين قائل إنها aba3uch أخذًا بالترجمة التي تعتمدها BerbèreTélévision، وقائل آخر: إنها anfafid وهي الترجمة التي تبنتها جريدة TiYremt الصادرة بالأمازيغية، والترجمتان معا تحت ضغط انتشار الفيروس صائبتان، إذا ما عملتا أثناء استخدامهما في خطابات التوعية بهما على الحد من تفشّيه، فهذا هو المأمول في لحظة العسر، أمّا إذا استتبت لحظة اليسر، فليناقدش وليطل الجدل في ذلك أيّاما وليالي، وليُخرج برأي لغويّ جدير بالاعتماد.

خلاصة ما قد سرد لحد ذي اللحظة هو أن اللغة المستخدمة إبان فترة كورونا كوفيد هي لغة غير موائمة لمقامات الأزمة إذّاك، فهي لغة ينسحب عليها وصف: "لغة محظورة" كان الأولى تفاديها، فمن اللغة ما هو جدير بتوظيفه، وما هو محظور في

تداولها ، ولا يفهم هذا المحذور فيها ، إلا من خلال الاطلاع على الدراسات المنصرفة إلى موضوع الحظر اللغوي بشكل متخصص².

هذا على السريع إذن بعض الأضرار التي ألحقها فيروس كورونا كوفيد 19 باللغة ، والتي بدورها (أي اللغة) أضرت كثيرا بواقع الناس ، بل سارعت في انتشار الوباء ، وأدت إلى مصائب أخرى ، كلها في سياق هذه الجائحة بشكل أو بآخر. ولأنها تسببت في ذلك كله ، فإنها بوسعها كذلك أن تدفع ذلك أيضا ، بل بمقدورها أن تشارك في الحيلولة من ازدياد انتشاره ، بل في عدم تكرار مثيلاته مستقبلا ، وذلك كله إن استعين طبعاً ببعض ما تمليه أدبيات التعامل مع المحذور اللغوي ومواطن خرقه ، وهاته بعض المقترحات المنسوجة في ضوء ذلك:

1-تفادياً للمحذور اللغوي كالأضطرابات اللطقية ، والتلهلات في الجهاز النحوي للغة إبان هاته الأزمة والأزمات المقبلة ، يُفضّل على مسؤولي الصحة والوزراء وكل من يتصدّر مجلسا للحديث عن الأزمة ؛ مُعرّفاً بها أو ذاكراً سُبُل الوقاية منها ، أن يُخاطب الناس من الورقة ، لا ارتجالاً واسترسالاً ، حتّى لا يُضخّم هالة الفزع باضطراباته تلك ، ولأنّ يتفكّه الناس منه وهو يقرأ عليهم المستجدات من الورقة ، أفضل من أن يقتلهم هلعاً بارتجـ.

2.الاعتماد في تحرير تلك الأوراق على الخبراء طبعاً ، مع تكليف أخصاء نفسانيين ولغويين بتخيّر كلمات نصوصها.الياته المُرْتجفة.

3-تبني لغة تفاؤلية ، حتى وإن كانت المفجعات تتوالى ، فذاك قد يُساعد على تخفيف وقعها ، فمثلاً يُجَبَد إعلان رقم الحالات المُصابة بالفيروس فقط ، دون احتساب من شفي منه ، فأن تقول في الجزائر 100 حالة ؛ منها 10 وفيات ، و50 حالة شُفيت ، و40 حالة قيد تلقي العلاج أمرٌ يُثقل المُتطلّع إليه ، ويُصيب المحجورين في منازلهم بالغم ، إذ يكفي القول أنّ عدد الإصابات: 40 بعد أن كانت 100 ، ما سيحفّر النفسيات ، ويُشجّع الجميع أكثر على الاستجابة لتعليمات الوقاية منه.

4-اعتماد لغة طبية توعوية بسيطة ومفهومة بدرجة جد كبيرة ، تستوعبها جميع فئات المجتمع ، والاستعانة بالعالميات إن لزم الأمر ، والمساعدة إلى تدريس الأطباء لسانيات طبية ، يُخاطبون بها المرضى ككائنات حيّة ، وليس كجمادات مُتكلّسة.

5-الاستعانة بما يُتيحها الحظر اللغوي أيضا من إمكانيات في مواجهة الوباء ؛ إذ يتوجّب تغيير تسمية الفيروس بتسمية أقلّ احتمالا للربح الذي أثارته الأولى ، تماما كما غُيّرت من قبل تسمية كورونا ميرز وسارز ، تماما كما أُبدلت أسامي أمراض عديدة كالسرطان والنقرس في سبيل تخفيف وطئ قسوتها على المُصابين بها ، إنعاشا لنفسياتهم ، وإشعارا لهم بأنها أمراض يُمكن الشفاء منها ، ولا تستحق كل هذا التهويل الأسطوري. وفي هذا السياق تُستنكر تسميتان بديلتان لهذا الفيروس ، الأولى تداولها رواد الفايبروك وهي "الوباء المُيّم" ؛ لكونه أودى بحياة أمهات كثيرات وآباء كثيرين ، والثانية أطلقها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ترامب (Donald Trump) وهي الفيروس الصيني ؛ أمّا الأولى فمأساوية ، ستضرّ بنفسيات الأمهات والآباء المُصابين به ، ولا تُشجّعهم على تحسين معنوياتهم في تلك الوهلة ، والثانية عنصرية ، لا تعكس سوى الصراع القائم بين القوتين الأمريكية والصينية.

وفي نطاق توظيف ميكانيزمات الحظر اللغوي دائما ، يُمكن اللجوء إلى آلية خرق الحظر اللغوي في سبيل الحد من انتشار الفيروس ، والخرق ببساطة يعني تعمّد الوقوع في المحظور اللغوي ابتغاء تحقيق هدفٍ ما ، وأحسن مثالٍ مرصود ؛ هو إقدام بعض الدول العربية على ذكر أسماء المُصابين بالفيروس على شاشات تلفزيوناتها ، حتى يتقدّم كلّ من خالط تلك الحالات المُصابة لإجراء فحوص إثبات الإصابة من عدمها ، وعلى بعض العقلية أن تتقبل هذا ، وأن تضع في تقديراتها أنّ هاته التنازلات اللغوية ، أهون وقعا من التنازل بآلاف من الضحايا للمرض ، يُقال هذا لأنه في الجزائر مثلاً ثارت الثائرات عند ذكر اسم أستاذ جامعي أُصيب به ، وغدّ ذلك انتهاكا للخصوصية وخرقا للمحظور.

ختاماً هذا شيء قليل ممّا يُمكن رصده واستنباطه ، وسواء أصحابه التوفيق أو الإخفاق في بيانه وتبيينه ، يبقى أنّه تقصّد غاية نبيلة ؛ مصّبها كيفية الحفاظ على الوجود الإنساني باستخدام اللغة أثناء نقشي الأوبئة والأزمات ، التي بدورها لن تتوان بتاتا في الاستعانة بلغاته في استهدافها له ، وللتذكير كما للتأكيد: لقد تأخّر الغزو الأمريكي للعراق

بسبب اللغة ، بسبب توظيف وزير الإعلام العراقي في دولة صدام (محمد سعيد الصحاف) للغريب اللغوي العربي ، الذي لم يجد له مترجمو الجيش الأمريكي مقابلا بالإنجليزية ، ما جعل استراتيجي الجيش يفترضون أنه يُلَمَح إلى خبيء حربي أُعِدَّ لهم ، فتمهلوا لإثر ذلك ، وتأخّر غزوهم للعراق قليلا ، وقياسًا على هذا: كما ساهمت اللغة (الوقوع في محظورها) في تسريع انتشار فيروس كورونا كوفيد 19 ، يُمكن لها (حين تجنّب محظورها وحسن توظيفه في ما يلزم) أن تحدّ من ازدياد انتشاره وغيره ، ريثما تتوصل المخابر الطبيّة والمؤسسات المخوّلة إلى علاجات وحلول ناجعة.

الهوامش والإحالات

¹- العبارة هنا معدّلة ، لكنّها مُماثلة في مؤدّاها لما يُنسب لإدوارد لورنر. يُنظر في ذلك:

جيمس غليك ، نظرية الفوضى علم الالامتوقع ، تر: أحمد مغربي ، ط1. لبنان: دار الساقى ، مبحث أثر جناح الفراشة ، من ص23 إلى ص48.

²- فليُنظر مثلا:

-عبد الملك أبو منصور الثعالبي ، الكناية والتعريض ، تح: أسامة البحيري ، ط1. القاهرة: 1997 ، مكتبة الخانجي .

-عصام الدين عبد السلام أبو زلال ، المحظور اللغوي في القرآن الكريم ، ط1. القاهرة: 2004 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .

-كريم زكي حسام الدين ، المحظورات اللغوية ، ط1. القاهرة: 1985 ، مكتبة الأنجلو المصرية .